وصف الشخصية القصصية في ديوان الهذليين

أ.م.د. عامر احمد إبراهيم حساوي م.م. سلوى جابر عبد اللطيف الشكرجي

جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٣/٢٥ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/٥/٨)

ملخص البحث:

امتاز شعر الهذليين بالنزعة القصصية ولا سيما تصوير (الشخصية) مما يعبر عن الروح الجماعية التي سادت في القبيلة وطبيعة الحاجة البدوية مما دعا إلى كثرة الشخصيات القصصية التي تستدعي وصفاً معيناً .

قام البحث على مدخل وأربعة مباحث . تضمن المدخل تحديد مفهوم الوصف وعلاقته بالشخصيات القصصية ، وخصص المبحث الأول لدراسة (الوصف التصنيفي / الوصف التعبيري) في حين درس المبحث الثاني (الوصف البسيط / الوصف المركب) وتضمن المبحث الثالث دراسة (الوصف الموضوعي / الوصف الذاتي) وتضمن المبحث الرابع دراسة (السرد الوصفي / الوصف الانتشاري) . اعتمد البحث دراسة تحليلية تقوم على الثنائيات المتضادة لما لها من دور مهم في الكشف عن القيمة الفنية والجمالية للوصف .

The Description of Narrative Character in Al-Hathalyeen Divan

Abstract:

The poetry of Al-Hathalyeen is characterized by narrative tendency especially picturing (the character) which expresses the soul of group that spread in the tribe and the nature of Bedouin need which lead to the muchness of narrative characters that require a specific description .

The research is based on an entrance and fore detectives . The entrance contained the determination of the concept of description and its relationship to the narrative character , the first detective is considered with the study of applied and expressive description) while the second on is considered with study of the simple and compound description and the third section contained the study of the objective and subjective description and the fourth on contained the study of the descriptive retell and the spreading description . The research depends on an analytical study based on opposite duals because they have an important role in the detection of the artistic and beauty value of the description.

مدخل

الوصف هو "ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات[١] . "إذ يمثل لوناً من ألوان التصوير فهو أسلوب إنشائي يقدم المظاهر الحسية للأشياء[٢] ،لذا يشكل "نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد تستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات أي مجموع العمليات التي يقوم بها لتأسيس رؤيته الفنية[٣] ، إذ "يعكس الوصف لحال من الأحوال أو لهيئة من الهيئات من صورتها المادية القابعة في العالم الخارجي إلى صورة أدبية قوامها اللغة وجمالها تشكيل الأسلوب [٤] ولا يأتي بلا مسوغ بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية القصصية وله اثر مباشر وغير مباشر في تطوير الحدث القصصي لذا تلتحم العناصر التي يتكون فيها النص وتكتمل الوحدة العضوية للعمل القصصي وتصبح الأجزاء المختلفة مرايا تعكس بعضها على البعض الآخر[٥] .

يقدم الوصف الملامح الخارجية للموصوف أي الموضوع الوصفي الواحد وينشأ عن ذلك عدد غير محدد من الموضوعات التي تقبل الوصف[٦] فلا يمكن للوصف النظر إلى الوقائع والأحداث فحسب وإنما يحاول الكشف عن خبايا النص القصصي ومكونات الشخصية [٧] ، لذا يرصد الوصف الملامح والصفات للأشياء والشخصيات في المكان ، ويميل هذا الرصد ذهنياً بوجود مرجع مادي في الواقع أو هو تأمل ذهني بمجرد سماع الخبر أو قراءته من دون وجود مرجع مادي في الواقع بل يمكن إدراكه بالتخييل لتكتمل الصورة عنه[٨] .

يصف السارد الشخصية القصصية وملابسها وهيكلها الخارجي أو بنيتها الجسمانية التي تدل على مستوى الشخصية الناحيتين الفكرية والاجتماعية ، ويدل الشكل الخارجي على نفسية الشخصية من الداخل أيضاً [٩] ، وهذا ما تقوم به العملية الوصفية عندما يقتحم السرد شخصية جديدة في الأحداث[١٠] ، إذ" تتضح سماتها وملامحها وكلما وضحت السمات والملامح كاملة من الخارج والداخل كان ذلك أكمل فتنمو وتتضح تدريجياً"[١١] .

المبحث الاول

الوصف التصنيفي / الوصف التعبيري

الوصف التصنيفي هو الوصف الذي يحاول تجسيد الموصوف بحذافيره كلها بعيداً عن المتلقي وإحساسه بهذا الموصوف ، ويلجأ في ذلك إلى الاستقصاء والاستنفاذ[١٢] ، لذا يسمى بالوصف التفصيلي[١٣] أو الفوتوغرافي[١٤] أو الاستقصائي[١٥] . ويقوم هذا النوع من الوصف على استقصاء الموصوف ستتناول اكبر قدر ممكن من التفاصيل لذا تكون مقاطع الوصف بشكل طويل[١٦] . ويعد جيرار جنيت الوصف والمفصل بمثابة وقفة أو استراحة للوصف في أثناء

السرد[١٧]، ويتناول الوصف التعبيري وقع الشيء والإحساس الذي يثيره في نفس المتلقي[١٨] ويقدم هذا الوصف بجملة وصفية قصيرة لا تحتوي إلا على بعض التراكيب الوصفية الصغرى حين يتم الاستغناء عن الأجزاء والصفات [١٩] ، ويلجأ هذا الوصف إلى الإيحاء والتلميح[٢٠] ، لذا يسمى بالوصف الإيحائي[٢١] أو بالوصف الانتقائي[٢٢] .

١- الوصف التصنيفي

يقول أبو ذؤيب الهذلي :

لَعَمْرُكَ والمَنايا غالِباتٌ ... لكلِّ بَنِي أبٍ منها ذُنُوبُ
لقد لاقَى المَطِيَّ بِجَنْبِ عُفْرٍ ... حَدِيثٌ – لو عَجِبْتَ له – عَجِيبُ
أرِقْتُ لِذِكرِهِ مِنْ غيرِ نَوْمٍ ... كما بَهَتَاجُ مَوْشِيٌّ قَشِيبُ
سَبِيٌّ مِنْ يَراعَتِهِ نَقاهُ ... أتِيٌّ مَدَّهُ صُحْرٌ وَلُوبُ
إذا نَزَلَتْ سَراةُ بَنِي عَدِيٍّ ... فسَلْهُمْ كيفَ ماصَعَهُمْ حَبِيبُ
يقولوا : قد وَجدنا خَيرَ طِرْفٍ ... بِرُقَيَّةَ لا يُهَدُّ ولا يَخِيبُ[٢٣]

يسعى الشاعر أبو ذؤيب الهذلي إلى الاستقصاء في عرض الشخصية بوصف تصنيفي يركز فيه على الأبعاد ولا سيما البعد النفسي بوصفه راوياً للحدث ومشاركاً إذ يبرز فيه ارقه وهيامه بالرفاق في السفر وفقده لعدي ثم يعرض البعد الاجتماعي للشخصية ومن ضمنهم هو بعد النزول الى سراة بني عدي والسؤال عنهم ، فهو يجد ومن معه انه إذا سألت أشراف بني عدي وساداتهم يجيبونك بأنهم وجدوا من حبيب هذا الذي يرثيه فتى كريماً لا يكسر في الحرب ولا يرجع خائباً من الغنيمة لذا يبدو البعد الاجتماعي للشخصية . لذا يقدم الشاعر وصفاً تصنيفياً للشخصية عمل فيه على استدعاء التفاصيل الدقيقة ليبرز فيها أبعاد الشخصية .

ويقول الشاعر عبد مناف بن ربع :

ماذا يَغير آبَتِي رِبعٍ عَويلُهما ... لا ترقُدان ولا بُوسَى لِمَن رَقَدا
كِلتاهُما أُبطِنتْ أحشاؤها قَصَباً ... مِن بطنِ حَلْيَةَ لا رَطبا ولا نَقِدا
إذا تَجَرَّدَ نَوحٌ قامتا معه ... ضربا أليما بِسبتٍ يَلْمَحُ الجِلدا
لَنِعمَ ما أحسنَ الأبياتُ نَهنَهَةً ... أولى العَدِيَّ وبَعْدُ أحسَنوا الطَّردا
إذ قَدَّموا مائةً واستأخرتْ مائةٌ ... وَفْياً وزادوا على كِلتيهما عَدَدا
صابوا بستّة أبياتٍ وأربعةٍ ... حتى كأنّ عليهمْ جابياً لَبِدا
شَدّوا على القومِ فاعتَلّوا أوائلَهم ... جَيشَ الحِمارِ ولاقَوا عارضا بَرِدا
فالطّعن شَغْشَغةٌ والضّرب هَيقَعةٌ ... ضربَ المعوّلِ تحت الدّيمة العَضَدا
وللقِسِيِّ أزاميلٌ وغَمغَمةٌ ... حِسَّ الجَنوبِ تَسوقُ الماءَ والبَرَدا
كأنّهمْ تحت صَيفيّ لَهُ نَحَمٌ ... مصرّحٍ طَحَرتْ أسناؤه القَرِدا
حتى إذا أسلكوهم في قُتائِدةٍ ... شَلاً كما تَطرُدُ الجَمّالةُ الشُّرُدا[٢٤]

ينحو الشاعر عبد مناف بن ربع في عرض الشخصية إلى الاستقصاء والاستنفاذ في ذكره يوم انف عاد في إبراز شخصية (الابنة) من حيث البعد النفسي في مسالة الرقاد الذي لا يكون عليه باس من فعله ، ولكن يحدد البؤس على من حزن لسهر أو مرض ويقصد بالبؤس هنا الضيق ، ويركز الشاعر أيضاً على العويل على الميت والبكاء والحنين والنوح الذي يؤدي إلى حرقة القلب

والتهاب المشاعر، ثم يتعرض للبعد الاجتماعي للشخصية من حيث انشقاق أوائل القوم الذين ضربوا مثلاً لما عرفوا به من الطعن والضرب في الحرب ثم يسعى لإبراز البعد الخارجي من حيث حمل البز والمتاع التي تؤدي مهمتهم الإبل ولذا يعمل الشاعر على إبراز الوصف التصنيفي للشخصية لما لها من دور كبير في الحدث السردي الذي يعرضه الشاعر .

ويقول الشاعر ساعدة بن العجلان :

لما رايت عدي ضمرة فيهم	وذكرت مسعودا تبادر أدمعي
ولقد بكيتك يوم رجل شواحط	بمعايل نجف وأبيض مقطع
شقت خشيبته وابرز اثره	في صفحتيه كالطريق المهيع
يارمية ما قد رميت مرشّة	أرطاة ثم عبأت لابن الأجدع
ورميت فوق ملاوة محبوكة	وأبنت للاشهاد حـــــزة أدعي
بين المصعد والمصوب رأسه	واقول شقّ شماله كالأضرع
ولحفته منها حليفا نصله	حدي كحد الرمح ليس بمنزع
فطلعت من شمراخه تيهورة	شمّاء مشرفة كرأس الأصلع
أهوى على أشرافها لا أتقي	كذفيف فتخاء القوادم سلفع
تغدو فتطعم ناهضاً في عشها	صبحا ويورقها إذا لم يشبع[٢٥]

يبرز الشاعر ساعدة بن العجلان الوصف التصنيفي للشخصية حين يذكر أخاه مسعوداً بعد أن قتله ضمرة بن بكر من حيث وصف البعد الخارجي (عدي ضمرة) أي حاملة تعدد على رجلهم ، ويصفه راوياً للحدث يبرز بعده النفسي من حيث البكاء والأسف على أخيه ، ويصور الجانب الاجتماعي للميت من حيث رميه للذين قتلوه فهو على سجيته كأنه عبد الطريق كما عبد سيفه، ويستعرض الشاعر شجاعة أخيه مما يبرز فيه البعد النفسي بإقدامه على الحرب والقتال إلى أن مات بعد أن اثبت شجاعته وقوته في الرد على الأعداء لذا سعى الشاعر إلى التصنيف في عرض الشخصية لإبراز همومه التي انعكست على شخصية المرثي .

٢- الوصف التعبيري

ويقول أبو ذؤيب الهذلي :

على حينَ ساواه الشَّبابُ وقاربَت	خُطايَ وخِلتُ الأرضَ وعثاً سُهولُها[٢٦]

واذا كان الشاعر قد قدم وصفاً تصنيفياً فهو يسعى في النص الشعري الحالي الى الايحاء والتلميح لتقديم وصف تعبيري يخص الشخصية (نشيبة) للدلالة على عظم المصيبة التي أثرت على نفسيته بوصفه راوياً للحدث السردي لموت أخيه ، ويعمل على الإيحاء بضعفه عن المشي لكبر سنه كالذي يسير في طريق وعر للمصيبة التي ألمت به في أواخر حياته، لذا يقدم الشاعر وصفاً لشخصيته ليدل به على الكبر في السن ، ومن ثم وصف الميت

بالشباب لحداثة سنه ، ويلمح للمصاب الكبير الذي مني به مما آثار لواعج الحزن والأسف على فقد الأخ .

وتقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

وقـــــد عَلِمَ الضّيفُ والمُرْملون إذا آغبرَّ أُفقٌ وهَبت شَمالا

وخَلّتْ عن آولادِها المُرضعات فلـــــم ترَ عينٌ لمُزْنٍ بلالا[٢٨]

تعمل الشاعرة على تقديم الشخصية بتركيب يوحي ويلمح لها بمفردتي (الضيف) و (المرملون) للإيحاء بالحاجة الماسة للعطايا مع هبوب الريح شمالاً للإيحاء بالموقف القاسي الذي يعيشونه فهم بحاجة إلى العطايا والهبات لتسير أمور حياتهن . ولا بد من الوقوف تجاههن في حالات الشدة وجدب السنين بعدم سقوط المطر حتى لو بنسبة صغيرة من البلل . لذا تقدم الشاعرة الشخصية الجماعية (المرملون) بوصف تعبيري يلمح ويوحي بكثير من الأمور التي تتعلق بالشخصيات واثر الزمن في أفعالهن التي دعت إلى الحاجة والعوز فلا بد من زيادة العطايا والهبات .

المبحث الثاني

الوصف البسيط / الوصف المركب

يتكون الوصف البسيط من جملة وصفية مهيمنة وقصيرة ولا يستطيع هذا النمط من الوصف مجاوزة دلالته المسخر لها من السرد إلا انه بفضل تلاحمه مع بقية الإشارات الوصفية الأخرى الخاصة بالشخصيات والأمكنة والأشياء يشكل دلالة اجتماعية يكون لها دور فعال في فهم القصة وتأويلها[٢٩] ، ويعد هذا الوصف وسيلة للإثارة في القصة إذ يسعى للمحافظة على وضع يتلاءم مع أوصاف أخرى للشخصية بتواجدها في المكان[٣٠]. وينصب الوصف المركب على الشيء الموصوف على شرط أن يكون معقداً أما بالانتقال من الموصوف إلى أجزائه ومكوناته أو بالانتقال من المحيط العام لهذا الموصوف إلى المضموم ضمنه[٣١] ، ويتحقق هذا الوصف بأفعال السرد وانتقال الشخصية بالمكان ولا يتم هذا الوصف بوضوح إلا إذا أتقن عملية الانتقال بدقة[٣٢] .

١- الوصف البسيط

يقول أبو ذؤيب :

ويلُ ام قَتَلَى فُوقَ القاعِ مِن عُشَرٍ من آل عُجرةَ أمسى جَدُّهُم هُصِرا[٣٣]

يقدم الشاعر وصف الشخصية بجملة قصيرة يركز فيها على بيان الشخصية الجماعية (القتلى) الذي ينتمون لهذيل ، فيسعى الشاعر للتفجع على هؤلاء القتلى الذين يحدد مكان عيشهم عند جبل بحجز بين نخلتين الشامية واليمانية من نواحي مكة ، ولا يكتمل الوصف للشخصية إلا عند بيان فضاء الحدث بتحديد المكان والزمن ، فالمكان سكن هذيل والزمن هو ساعة

القتال ، ويلح الشاعر على المكان وأثره على نفس الشخصية بوصفه راوياً للحدث .

ويقول الشاعر صخر الغي :

تَجَهنا غاديين فساءلتْني بواحدها وأسأل عن تَليدي

فقلتُ لها فأمّا ساقُ حُرٍّ فبانَ مع الأوائل من ثَمود[٣٤]

يعمل الشاعر في رثائه على تقديم وصف الشخصية بجمل قصيرة تحدد موقفه هو بنفسه بوصفه راوياً للحدث بعد تحديد الفضاء بالزمن وهو الصباح ، والمكان(مكان السكن) لإبراز شخصية المرثي (ابنه) إذ يشبه حاله بالذي يبحث عن فرخه ، وما حصل له وهو في أخر عمره من المصيبة الكبيرة ، ويلقي هذا الوصف بظلاله على بيان البعدين النفسي والاجتماعي للشخصية بمكانته الاجتماعية وشعوره بالحزن والأسى كمن يتحدث عن شيء أضاعه .

ويقول الشاعر العجلان بن خليد :

متى لامنى فيها فإنّي فعلتُها ولم آتِها من ذي جَبانٍ ولا سِتْرِ

جمعتُ لرَهطِ العائذيّ سَرِيّةً كما جَمَعَ المعذورُ أشفيةَ الصدر[٣٥]

يقدم الشاعر وصفاً بسيطاً للشخصية بوصفه راوياً للحدث اذ يسعى بجمل قصيرة الى سياق ذلك ولا سيما البعد النفسي باعترافه بعدم تستره بعدما تعرض اللؤام من قومه ، ويوحي الشاعر بما أصابه من الداء في الحلق (المعذور) لذا يعمل هذا الوصف على تقديم أبعاد الشخصية كافة الخارجي بالمرض والفكري برؤيته للأمور التي لامه فيها القوم ، والبعد النفسي بما تعرض من المرض واللؤم ، وأخيراً البعد الاجتماعي بما حدث له مع القوم (رهط العائذي) .

أ- الوصف المركب

ويقول الشاعر أبو ذؤيب الهذلي :

عَرَفتُ الدّيارَ كرَقْمِ الدَّوا ةِ يزْبِرُها الكاتِبُ الحِمْيَرِيُّ

بَرقْمٍ ووَشْيٍ كما زُخرِفَتْ بميشَمِها المُزدَهاةُ الهَديُّ

أدانَ وأنبَأَه الأوّلُو نَ أنَّ المُدانَ المَليُّ الوَفِيُّ

فَيَنْظُرُ في صُحُفٍ كالرّيا طِ فيهنَّ إرثُ كتابٍ مَحِيُّ

على أطْرِقَا باليات آلخِيا مِ إلاّ الثُّمامُ وإلاّ العِصِيُّ

فَلَمْ يَبقَ منها سِوى هامِدٍ وسُفْعُ الخُدودِ معاً والثّؤيُّ

وأشعَثَ في الدّارِ ذي لِمَّةٍ لَدَى إرْثِ حوضٍ نَفاهُ الأتِيُّ

كعُوذِ المُعَطّفِ أحرَى لها بمصدَرةِ المَاءِ رَأْمٌ رَذِيُّ

فهُنّ عُكُوفٌ كنَوحِ الكَرِي ـمِ قد لاحَ أكبادَهنّ الهَوِيُّ

وأنسَى نُشَيبَةَ والجاهِلُ الـ ـمُغَمَّرِ يَحسِبُ أنّي نَسِيُّ

يَسُرُّ الصَّديقَ ويَنْكي العَدُوَّ ومِرْدَى حُروبٍ رَضِيٌّ نَدِيُّ

على حينِ أنْ تَمَّ فيه الثَّلا ثُ : حَدٌّ وجُودٌ ولُبٌّ رَخِيُّ

ومن خيرِ ما عَمِلَ الناشئُ الـ ـمُعَمَّمُ خِيرٌ وزَنْدٌ وَرِيُّ

وصَبرٌ علـــــى حَدَثِ النائباتِ وحِلمٌ رَزينٌ وقَلبٌ ذَكـــــيُّ[٣٦]

يقدم الشاعر وصفه المركب عن الشخصية بالانتقال بين الموضوعات إذ يبدأ بالمكان ليعكس بظلاله على الشخصية (الكاتب الحميري) ليصل به الوصف إلى الشيء (الميشم) الإبرة التي تشم بها المرأة على كمها واثر ذلك على الشخصية (الهدى) أي العروس ويعمل على تصوير فعل الشخصية بالنظر في الصحف ومن ثم يعرض مكان فعل الشخصية (الطريق) على لسان هذيل (اطرق) لينتقل الى وصف الشيء (الثمام) الشجر الذي تعمل منه الخيام ، فضلاً عن الهامد (الرماد) وسفع الخدود (الأثافي) والنؤي لينتقل إلى الشخصية الحيوانية (الإبل) ويختار من بينها (المعطف) الذي يعطف ثلاث أينق على ولد حتى عليه ، ويصور هذه الشخصية الحيوانية وحنانها على ولدها كما يصف النوح على الميت لينتقل إلى وصف الشخصية البشرية (الصديق) و (العدو) وموقفهما في هذه الحياة ليبرز دور المقلد في الأمر بما يقدمه من الخير (الكرم) والصبر على النوائب التي يتعرض لها في حياته. ويقدم الشاعر الشخصية الحيوانية والبشرية في المكان الذي يحوي الأشياء بأفعال متعددة منها ما تنسب له بوصفه راوياً للحدث والأخرى لتدل على الشخصية : (عرفت) (يزبرها – زخرفت – أدان – ينظر – يبق- احزى- لاح – وانسى – يحسب – نسى – يسر – ينكي – عمل) ولا يكتفي الشاعر بالأفعال التي تدل على الشخصية وإنما ما تدل على الأمكنة والأشياء لتحديد أفعالها وتوجهاتها .

ويقول صخر الغي :

لشمّاءَ بعد شَتات النَّـــــوى وقـــــد كنتُ أخْيَلْتُ بَرقا وَليفا
أجشَّ رِجَالاً لـــــــــه هَيدَبٌ يكشّف للخـــــال رَيطا كَشيفا
كأنّ تواليه بالمَـــــــــــلا سفائـــــــنُ أعجَمَ مايَحِنَ رِيفا
أرِقتُ له مثل لَمـــــع البَشيـ ـير يقلّب بالكفّ فَرضا خَفيفا
فأقبَلَ منـــــــــه طِوالُ الذُّرا كأنّ عليـــــــــــهنّ بيعا جَزيفا
وأقبلَ مَرّا الـــــــــى مِجْدلٍ سِياقَ المقيَّد يمشـــــي رَسيفا
ولمـــــا رأى العَمقَ قُدّامَـــه ولّـــــا راى عَمَـــــرا والمُنيفا
أسال مـــــــن اللّيل أشجانَه كأنّ ظواهـــــــــرَه كنّ جُوفا
وذاك السّطاعُ خِلافَ النّجا ءِ تحسبه ذا طِـــــلاءٍ نَتيفا[٣٧]

يسعى الشاعر لتقديم الشخصية على وفق الوصف المركب إذ يبتدئ بذكر (شماء) لينتقل الى وصف نفسه بوصفه راوياً للحدث السردي من حيث عملية التخيل ، وينتقل لوصف الأشياء والأمكنة الأجش (السحاب) الثقيل والغيم والبرق ، ويحدد المكان (الريف) والملا وأثره على الشخصية وأفعالها ليعود من جديد إلى وصف السحاب وأثره في نفس الشخصية البشرية ومن ثم الحيوانية (الدابة) التي تقارب الخطو لتصل إلى مكانها فضلاً عن ذكر مكان الحدث (مر ومجدل) ويعيد وصف المكان من جديد(العمق وعمر والمنيف) وهي بلاد ليصل في ختام الأمر إلى

سؤاله لليل ليبرز أشجانه وهي طرائق في الغلط أي ما يبدو من الأشجان لكثرة الماء للدلالة على ما ارتفع من الأرض والوادي . ويعبر الشاعر عن الشخصية في الأمكنة بأفعال متعددة تعود له بوصفه راوياً للحدث ومنها ما تعود للشخصيات السائدة (كنت – أخليت– أرقت– اسأل– يكشف– ما يحن – يقلب– فاقبل – واقبل – يحشي– رأى – رأى)

وتقول جنوب اخت عمرو ذي الكلب :

كلُّ امرئٍ بطوالِ العَيــــشِ مكذوبُ ... وكلُّ مَن غالبَ الأيام مَغلـــــوب
وكلّ حـــــيٍّ وإن طالت سلامتهم ... يوماً طريقُهم في الشرّ دُعبـــــوب
وكلُّ مـــــن غَالبَ الأيامَ مِن رَجُلٍ ... مود وتابعه الشبان والشيـــــــــب
بينا الفتـــــى ناعم راض بعيشته ... سيقَ له من دَواهي الدّهرِ شُؤبوب
أبلغ بنـــــي كاهلٍ عنّي مُغلغَلةً ... والقومُ من دونهم سَعيا ومَركـــوب
أبلغ هُذيلا وأبلغ مـــــــن يُبلّغها ... عنّي رسولاً وبعضُ القولِ تكذيـــب
بأنّ ذا الكَلبِ عَمــــراً خَيرهم نَسباً ... بِبَطنِ شَريانَ يعوي عنده الذّيـــب
الطاعنُ الطعنةَ النّجـــلاء يَتبعَها ... مُنعنجِرٌ من دماءِ الجـــوف أشْوب
تمشي النُّسور إليه وهـــــي لاهِيةٌ ... مَشيَ العَذاري عليهنّ الجَلابيـــــب[٣٨]

يبدو الوصف المركب للشخصية في شعر جنوب أخت عمرو ذي الكلب بالأفعال التي تقدمها لوصف الشخصية وانفعالاتها في الأمكنة التي توحي الأشياء . إذ تقصد الشاعرة من الشخصية التي تحملها أفكارها شخصية لا تحددها باسم وإنما تصفها بشكل عام بألفاظ (امرئ– رجل– الشبان – الشيب – الفتى) لتحدد اثر الزمن على هذه الشخصية والأحداث التي تتوفر بها بفعلين (طالت– مشيت) فضلاً عن الصفات المتعددة (مكذوب– مغلوب– دعبوب– غالب– تابعه– ناعم – راض) لتنتقل الشاعرة إلى وصف الشخصية الجماعية (بنو كاهل) و (هذيل) في المكان سعياً ومركوب وبطن شريان موضع القتل بالأفعال المتعددة التي تعود لها بوصفها راوياً للحدث السردي أو الشخصية الجماعية (ابلغ – ابلغ– يبلغها – يعوي– يتبعها– تمشي) لتصل في خاتمة الوصف إلى الشخصية الحيوانية التي تمثلت بالطيور (النسور) وتضيف مشيها كمشي العذارى التي ترتدي الجلابيب . لذا تقدم الشاعرة الشخصية على وفق الوصف المركب من خلال الأفعال المتعددة لتعكس أفعالها في المكان على وفق الحدث السردي الذي تتحدث عنه بوصفها راوياً له .

٢– الوصف الموضوعي / الوصف الذاتي

الوصف الموضوعي هو الذي يقوم فيه الراوي بتقديم الشخصية أو الشيء الموصوف برؤية[٣٩] في حين يقدم الوصف الذاتي بإحدى الشخصيات عندما يكون الراوي مشاركاً في الأحداث[٤٠] .

أ– الوصف الموضوعي

يقول أبو ذؤيب :

فقلتُ : تَجَنَّبنَ سُخْطَ ابنِ عَمِّ ... ومَطلَبَ شُلّةٍ ونـــــــوىً طَروح
ومـــــا إنْ فَضلةٌ من أذرعاتٍ ... كعينِ الدّيكِ أحْصَنَها الصُّروح

مُصـــــــــــفَّقةٌ مُصفّاةٌ عُقارٌ شاميـــــــــــةٌ إذا جُليَت مَروح
إذا فُضَّتْ خَواتِمُـــــها وفُكَّتْ يقال لها : دم الودج الذبيـــح
ولا متحير باتت عليـــــــــه بِبَلقعَةٍ يَمانيـــــــــــــةٌ تَفوح
خِلافَ مَصابِ بارِقَةٍ هَطولٍ مُخالِطِ مائِها خَصَـــــرٌ وريح
بأَطيبَ مِنْ مُقبّلِها إذا مـــــا دَنا العَيُّوقُ واكتَم النُّبُـــــوح[٤٠]

ينقل الشاعر أبو ذؤيب الهذلي الوصف الموضوعي للراوي عن الشخصية (ام عمرو) إذ يبدأ بذكر البعد الاجتماعي من سخط ابن العم ومن ثم يذكر البعد الفكري بالشلة بأنها الأمر البعيد تطلبه فهو اظهر في المعنى ، ولكي يقدم الراوي الشخصية يحدد الفضاء السردي من حيث الزمن الحاضر والمكان (الصرح = القصور) ويصور في الختام أصوات الناس وجلبة الحي وأصوات الكلاب إذ تتغير الأفواه إذا ذهب من الليل هدى . لذا يقدم الراوي الوصف الموضوعي للشخصية من وجهة نظره لما يراه أمامه بوصفه شاهداً على الحدث ويمتلك المعلومات كافة عن الشخصية برؤية العالم بكل شيء حتى أدق التفصيلات عن الشخصية .

ويقول الشاعر المتنخل :

ذلك بَزّي وسَليـــــــــــــهم إذا مـــا كَفَتَ الحَيشُ عن الأرجُل
هل أُلحِقُ الطعنةَ بالضربة الـ ـخَذْباءِ بالمطْـــــــرِد المِقْصَل
ممـــــــا أقضّي ومَحارُ الفتى للضُّـــــــــبع والشَّيبة والمَقتَل
إن يُمسِ نَسْوانَ بمصـــــروفةٍ منها بريٍّ وعلـــــــــى مِرجَل
لاتَقِهِ المـــــــــــوتَ وقيّاتُه خُطَّ لـــــــه ذلك في المَحبَل
ليس لميْـــــــت بوصيلٍ وقد علّق فيـــــه طَرَفُ المَوصِل[٤٢]

يعمل الشاعر على تقديم الوصف الموضوعي للشخصية من وجهة نظره الخاصة إذ يبدأ بالبعد الخارجي من حيث المظهر الخارجي الذي يتمثل بالسرعة إذ يرمز الكفت إلى الرفع ، ويتداخل البعد النفسي (الحيش) الفزع مع البعد الخارجي في عرض الشخصية وحركتها بدلالة ذكر (الأرجل) لينتقل إلى بيان البعد الاجتماعي بدلالة (الفتى) الذي يتحدد بالمصير والمرجع ، وينتهي الشاعر إلى مسالة تتعلق بالبعد الفكري من حيث جدلية الموت والحياة اذ ليس الحي بمتصل بالميت لأنه قد انقطع فذهبت معه مواصلته . لذا يقدم الشاعر بوصفه راوياً للحدث الوصف الموضوعي للشخصية من أبعادها الأربعة إذ تتداخل فيما بينها لتقديم الصورة الكلية للشخصية .

ويقول الشاعر حذيفة بن انس :

ألا ياقـــــــــيَ ماتازَلَ القـــــومَ واحداً بِنَعْمانَ لـــــــم يُخلَق ضَعيفاً مُتَبَّرا
أخو الحربِ إن عَضّت به الحربُ عَضَّها وإن شَمَّرتْ عن ساقِها الحربُ شَمَّرا
ويمشي إذا مـــــــا الموتُ كان أمامَه لِقَا المـــوتِ يحمي الأنفَ أن يتأخّرا
فلو أسمَـــــــعَ القوم الصُّراخ لَقُوربت مصارِعُهم بيـــــــــن الدَّخول وعَرعَرا
وأدْرَكهم شُعثُ النواصـــــــــي كأنهم سَوابِقُ حُجّاجٍ تُوافـــــــــي المُجَمَّرا
همُ ضَـــــــربوا سعدَ بن ليثٍ وجُندُعاً وكَلبا غداةَ الجزعِ ضَـــــــربا مُذكّرا
نجا سالمٌ والنفسُ منـــــــــه بشدقِه ولـــــــم يَنجُ إلّا جفنَ سيفٍ ومِئزرا
وطابَ عن اللّقّاب نفساً وربَّـــــــه وغادرَ قيسا فـــــــي المَكَرِّ وعَفزَرا[٤٣]

يقدم الشاعر في هذا النص الوصف الموضوعي للشخصية برؤية خاصة يعرض فيها الشخصية منذ بداية القصيدة من حيث بيان البعد الاجتماعي لها بدلالة (الفتى) فضلا عن الشخصية الجماعية (القوم) ليعرض همومها في أثناء الحرب التي زاولها وعالجها ولكي يدخلها الشاعر إلى العالم الواقعي للشخصية يدلنا على الأمكنة الواقعية (الدخول وعرعر) الذي هو وادي في ارض هذيل ، ومن ثم يعرض الشاعر الحرب وتفاصيلها لما لها اثر كبير في الشخصية ولكي يثبت واقعية الأحداث يدلنا على أسماء الشخصيات الواقعية سعد بن ليث وسالم وما إلى ذلك وقيس وعمارة ابن الوليد لذا يقدم الشاعر الوصف الموضوعي للشخصية من حيث مسالة الحرب وأثرها في النفس .

الوصف الذاتي

يقول أبو ذؤيب الهذلي :

وإذا المَنيّةُ أنشَبَتْ أظفارَها ألفيتَ كـــــــــلَّ تَميمةٍ لاتنفَعُ

ولقد أرى أنّ البكاءَ سَفاهةٌ ولسوف يُولَعُ بالبُكا من يُفجع[٤٤]

وإذا كان الشاعر أبو ذؤيب الهذلي قد قدم الشخصية بالوصف الموضوعي الذي ينقله عن الراوي للحدث السردي فهو يعمل على تقديم الشخصية بوصفه الذاتي على أساس انه الراوي للحدث فينقل قوله عن نفسه من حيث وجهة نظره في الموت مما يدلنا على البعد الفكري لشخصية الراوي – الشاعر إذ يجد أن المنية إذا جاءت فلا تنفع معها التمائم على الإطلاق ، ويصور المنية من وجهة نظره بوحش يعمل على نهش الفريسة بأظفاره ، ويجد أن العين بعد المصاب قد أصبحت عوراء وقد ملأها الدمع مما يدل على البعد النفسي للشخصية من اثر المصاب الكبير الذي أوصلها إلى التحسر والتأسف على ما حدث . لذا عمل الشاعر على تقديم الوصف الذاتي للشخصية بوصفه راوياً للحدث السردي .

ويقول المتنخل :

لَباتَ أُسوةَ حَجّاجٍ وإخوتـــــــــه في جَهدنا أو لـــــه شَفٌّ وتَمزيزُ

ياليته كان حظّي من طعامكما أنّي أجَنَّ سوادِي عنكمـــا آلجيز

إنّ الهَـــــــوان فلا يَكذِبكما أحدٌ كأنه فـــــــي بياض الجلد تَحزيزُ

ياليت شِعري وهَمُّ المرءِ يُنصِبه والمرء ليس له في العيش تحريز

هـــــل أجزيَنّكما يوما بقَرضِكما والقَرض بالقرض مَجزيٌّ ومَجلوز[٤٥]

وإذا كان المتنخل يعمل على تقديم الوصف الموضوعي للشخصية فهو يقدم في هذا النص الشعري وصفه الذاتي عن نفسه بوصفه راوياً للحدث وشخصية اثبت حضورها في الشعر بياء المتكلم إذ يبدو ذلك في المفردات (حظي) (اني) (شعري) إذ يتمنى الشاعر أن يكون حظه في الطعام مع أهل الطائف الذين يسمون الشق الذي ليس فيه المسجد جيزا لذا يقدم الشاعر أمنيته لينتقل إلى بيان البعد الفكري من حيث انه ليس له حرز من الموت ،

ويتداخل البعد الفكري مع البعد النفسي في هذا من حيث الشعور بالموت الذي يحدق به في أي وقت . لذا يبدأ الشاعر الوصف الذاتي لشخصيته بالاعتماد على ياء المتكلم .

ويقول حذيفة بن انس :

كَشَفتُ غِطاءَ الحَربِ لَمـــا رأيتُها ... تَنوءُ على صَعْوٍ من الرأس أصْعَرا

بقَتْل بني الهادي وقيس بن عامر ... كَشَفتُ لهم وتري وكان مُخَتَّـــــرا

ونحن جَزَرنا نَوفـــــــلاً فكأنّكما ... جَزَرنا حِماراً يأكُل القِرف أصْحـرا

جزَرنا حمارا يأكلُ القِرفَ صادِراً ... تَرَوَّحَ عن رمٍ وأُشبِعَ غَضْـــــورا[٤٦]

ويعود الشاعر إلى الوصف الذاتي للشخصية بعد أن قدم الوصف الموضوعي لها في هذا النص الشعري إذ يعرض الشخصية بوصفه راوياً للحدث السردي في حالة الحرب مما يعكس البعد النفسي والشعور الأليم بهذا الخصوص ، ويقدم الشاعر في بدء قصيدته البعد الفكري إذ انه قام بستر غطاء الحرب فيما سبق ولكنه اليوم يعمل على كشفها وإبرازها بعد مقتل بني الهادي وقيس بن عامر ، ويعترف بقتله لنوفل مع انه لم يفزع لقتله احد ليصل الشاعر في ختام الحديث بتحديد مكان القتال (رم) وهو اسم جاء ليضفي الواقعية على الفضاء الشعري الذي يعرض فيه أفعال الشخصية .

٣-السرد الوصفي / الوصف الانتشاري

يعود السرد الوصفي إلى الوصف المقيد بالسرد إذ لعل العلاقة الأكثر سلمية بين الوصف والسرد هي "تلك العلاقة اللاملموسة التي يبدو فيها الوصف وكأنه شبه معدوم إذ لا نحس بوجوده أثناء القراءة السريعة أو العادية وتتمثل تلك العلاقة في وجود أفعال حركية ووصفية في آن واحد ، وهذه الأفعال تخضع في عملية تحققها كتابياً للقوانين نفسها المتحكمة في إنتاج كل عملية وصفية .... أن كل حدث يمكن التعبير عنه بوساطة عدد من الأفعال التي تناسبه ولذلك فان اختيار فعل بعينه هو انتقاء لحالة وصفية تحدد نوعية الحدث أو نوعية الوعي به أو التفاعل معه حتى مع كل فعل عملية وصفية دائبة في العملية السردية وخاضعة لها[٤٧] "وتأتي في سياق السرد الوصفي دلالات الوصف في مستوياتها المختلفة إذ يمكن إلحاق الوصف بجدول السرد إذ تتجمع بؤرة السرد المركزية في المقاطع الوصفية وتماثلها مع دلالات المستويات السردية الأخرى فما يؤدي إلى دفع الحدث ونموه وتطوره[٤٨] ، وتكثر الأفعال في السرد لتدل على الحركة وتبرز الأحداث والأعمال كافة مما يسوغ المقاطع الوصفية من الجمل السردية لذا تغدو الأفعال السردية في الوصف [٤٩] . ويتسم المظهر الثاني لعلاقة السرد بالوصف بشيء من التعقيد أو يتعلق الأمر بالوصف الذي ينص مع الشخصيات والأشياء والأمكنة التي تنتمي إلى السرد بتقديم شخصية جديدة أو

مكان جديد سيكون مجرى السلسلة من الأحداث فان السرد يسمح المجال أمام العملية الوصفية لأنه لابد من تقديم المظهر الخارجي للشخصية وطبوغرافية المكان. وكأن الأشياء القابضة داخله وحواليه ، وهي عملية تسبق عادة بتمهيد يضطلع به السارد مهيئاً به للقارئ لتلقي الوصف وفاسحاً المجال أمام الوصف الذي يعلن عن نفسه وبذلك يكون منتمياً إلى السرد وموجهاً من طرق بوساطة الموصوف الشخصية والحدث والمكان والشيء في استقبال التفاصيل الوصفية غير انه على الرغم من انتمائه للوصف المشكل للحظة من لحظات قوة السرد يستطيع أن يتجاوز غاية السرد[٥٠] ويتخذ الوصف الانتشاري لنفسه محوراً في نقطة ما إذ يسمح له أن يراقب الأشياء والمشاهد واللوحات يصنع سردية غير أن هذه التفاصيل التي تستقر نحو الوصف يكون لمعنى فيها معروفاً سلفاً ، ويعد هذا النمط من الوصف أعلى درجات اقتراب الوصف من السرد يفسح المجال لاكتشاف حقائق أخرى في العلاقة بين السرد والوصف[٥١] ويتدفق السرد مع العناصر الأخرى بالسرد بشكل متسلسل[٥٢].

أ- **السرد الوصفي**

يقول ساعدة بن جؤية :

هَجرتْ غَضوبُ وحُبَّ مـن يَتَجَنَّبُ ... وَعَدَتْ عَـــوادٍ دونِ وُلْيِكَ تَشعَبُ

ومِـــنَ العَوادي ان تَقَتَّكَ بِبغضةٍ ... وتُقاذُفٍ منـــــها وأنْكَ تُرقَبُ

شابَ الغُرابُ ولا فـــــؤادُكَ تارِكُ ... ذِكرَ الغَضـــوبِ ولا عِتابُكَ يُعتَبُ

وكأنمـــا وافاكَ يـــومَ لَقيتَها ... مـــن وحشِ وجرَةَ عاقدٌ مُتَرَبِّبُ

خَرِقٌ غَضيضُ الطَّرفِ أحورُ شادِنٌ ... ذو حُرَّةٍ أُنُفُ المسارِبِ أخطَـــبُ

بِشَرَبَةَ دَمِثِ الكَثيـــــب بِدُورِه ... أرْطَى يَعوذُ بـــــه إذا مايُرطَبُ

يَنْتَي بـــــه نَفَيانِ كلَّ عَشِيَّـــةٍ ... فالماءُ فـــــوقَ مُتونِه يَتَصَبَّبُ

يَقرو أبارِقَـــــه ويَدنو تارةً ... لَمدافِعٍ منـــــها بِهِنَّ الحَلَّبُ

إنّي وأيدِيها وكلِّ هَديّـــــة ... تُمـــــا تَئِجُّ لها تَرائِبُ تَنْعَبُ

ومُقامِهِنَّ إذا حُبِســـــن بِمأزِمٍ ... ضَيـــــقٍ ألفَّ وصَدَّهُنَّ الأخشَبُ

حَلَفَ امرئٍ بَرٍ سَرِفتِ يَمينَـــــه ... ولكلِّ مـــــا تُبدي النُفوسُ مُجَرَّبُ

إنّـــــي لأهواها وفيها لامرئٍ ... جادت بنائِلها إليـــــه مَرغَبُ[٥٣]

يبدو السرد الوصفي للشخصية في شعر ساعدة بن جؤية بالأفعال السردية التي تتلاءم مع الوصف لتعبر عن حركة الشخصية وأفعالها مما يعمل على إبرازها بأبعادها كافة إذ برزت الأفعال في بداية الحدث السردي للتعبير عن شخصية الشاعر بوصفه راوياً للحدث وشاهداً عليه لينتقل السرد الوصفي إلى الشخصيات الساندة بأفعال متعددة (تفتك- تقاذف- ترقب- يعوذ- يرطب- يتصبب) فإذا كان الشاعر قد قدم السرد الوصفي للشخصية بعرض مشاعره وأحاسيسه تجاه حبيبته (غضوب) فهو فيما بعد يعرض الأمور التي لحقت بلقائه بهذه الحبيبة ، ويعرض أيضاً البعد الفكري للشخصية بذكر الغضوب بعد بلوغ الشيب للغراب مما يوحي بالحب الذي تغلغل في نفسه ، ولكي يعمل على إبراز الشخصية يسعى الشاعر لوصف المكان (شربة) ويقصد به الموضع المرتفع ،

ويعرض في ختام سرده الوصفي البعد الاجتماعي للشخصية من حيث تتبع الأثر للدلالة على مكان الشخصية .

ويقول الشاعر عبد مناف بن ربع :

ولقـــــد أتاكم ماتَصُوبُ سيوفُنا ... بعد الهَوادة كلَّ أحمرَ صِمْصِمِ
حَصَّ الجَدائِرُ رأسَـــــه فتركنه ... قَرِعَ القَذالِ كبيضـــــةِ المستلِمِ
لـــولا تُفَلَّقُ بالحجارة رأسُـــــه ... بعد السُّيوف أتاكُم لـــــم يُكلَّم
وأنا الذي بَيَّتُّكم فـــــي فِتيـــة ... بمَحَلَّةٍ شَكِـــــسٍ وليلٍ مُظلم
كانت علـــى حيّان أوّلُ صَولةٍ ... منّى فأخضِبُ صفحتَيـــه بالدَّم
ثم انصرفتُ الـــــى بَنيه حولَه ... بالسيـــــف عَدوةَ شابكٍ مستلحِم
أُنحي صَبَّي السيفِ وسطَ بيوتهم ... شَقَّ المعيّث فـــي أديم المِلْحَم[٥٤]

يعمل الشاعر على تقديم السرد الوصفي للشخصية من خلال الخطاب للغائب في بداية القصيدة بأفعال متعددة (أتاكم- تصوب- فتركنه- تغلق- أتاكم – لم يُكلم) لتقديم الشخصية الجماعية ثم ينتقل إلى التعبير عن شخصيته بوصفه راوياً للحدث السردي بالأفعال الدالة عليه (فأخضبُ – انصرفت- أنحي) مما يوحي الشاعر بمشاركته للحدث بدلالة قوله (وأنا الذي) إذ صرح بذلك لينتقل الحديث من الشخصية الجماعية إلى شخصيته لتقديم وجهة نظره الخاصة فيما يتعلق بالحرب والإغارة على القوم ليلا في مكان غليظ بليل مظلم وفي ذلك إيحاء بالبعد الاجتماعي له من حيث الشجاعة والبطولة وخوض غمار الحرب .

يقدم الشاعر ساعدة بن العجلان سرده الوصفي للشخصية بقوله :

لّمـــــا رأيتُ عَدِيَّ ضَمرةَ فيهمُ ... وذكرتُ مَســـعوداً تَبادَرَ أدْمُعي
ولقـــد بكيتُكَ يومَ رَجْلِ شُواحِطٍ ... بمعابِلٍ نُجُفٍ وأبيضَ مِقْطـــع
شُقَّتْ خَشِيبَتُـــــــــه وأُبرز أثرُه ... في صَفحَتَيه كالطَّريق المَهيع
يا رمْيةً مـــــا قد رَميتُ مُرشّةً ... أرْطاةَ ثم عَبأتُ لابن الأجدَعِ
ورميتُ فـــــوق مُلاوةٍ مَحبوكةٍ ... وأبنتُ للأشهادِ حَزّة أدْعِـــي
بين المصعّد والمصوّبِ رأسَـــه ... وأقول شِقّ شِمالهِ كالأضْـرَعِ
ولَحَفتُـــــــه منها حَليفاً نَصْلُه ... حَدّى كَحدّ الزُّمح ليس بمنزَعِ
فَطَلعتُ مـــــن شِمراخِه تَيهورةً ... شمّاءَ مُشرفةً كرأسِ الأصـــلَعِ
أهوى علـــــى أشرافِها لا أتّقي ... كِذَفيفِ فَتخاءِ القَـــوادم سَلفَعِ
تَغدو فتُطعِمُ ناهضاً في عُشّها ... صُـــبحاً ويُؤرقُها إذا لم يَشبعِ[٥٥]

يقدم الشاعر سرده الوصفي في القصيدة التي يذكر فيها أخاه مسعوداً حين قتله ضمرة بن بكر إذ يعرض لواعج الحزن والأسى لفقد أخيه بأفعال تدل على شخصيته بوصفه راوياً للحدث وشاهداً عليه : (رأيت- ذكرت- بكيتك- مشعث – رقيق- رميت – أقول – ولحقته – اهوى- لا اتقي) وبهذا يقدم الشاعر بسرده الوصفي شخصيتين : شخصيته بوصفه راوياً وشخصية أخيه الذي قتل (مسعود) فهو عندما يتذكر (مسعود) تعمل عينيه على مبادرة سيلان الدمع ، ويصدح الشاعر ببكائه

على أخيه ، ويتداخل في سرده الوصفي تقديم شخصيته وشخصية أخيه إذ يصفه بأنه نقي ويشبهه بالطريق البين الواقع مما يدل على صفاء سريرته ويستمر الشاعر بوصف اثر الموت على شخصيته ، ويصف الميت وأفضاله ومناقبه مما يوحي بقمة حزنه على فقد أخيه .

ب- الوصف الانتشاري

يقول ابو ذؤيب

تَوَصَّـلُ بالُّركبانِ حيناً وتُؤلِفُ الـ ـجوارَ ويُغْشيها الأمـــانَ رِبابُها
فما بَرِحَتْ في الناس حتّى تَبَيَّنَتْ ثَقيفاً بِزيزاءِ الأشاءةِ قِبابُهـــــا
فطافَ بهـــــا أبناءُ آلِ مُعَتِّبٍ وَعَزَّ عليهم بيعُهـا وآغتِصابُها
فلمّا رَأوا أنْ أحكَمَتْهُم ولـم يَكُنْ يَحِلُّ لهم إكراهُـــــها وغِلابُها
أتَـــوها بِرِحٍ حاوَلَتْهُ فأصبَحتْ تُكَفَّتُ قـد حَلَّتْ وساغَ شَرابُها[٥٦]

يقدم الشاعر أبو ذؤيب الهذلي الوصف الانتشاري للشخصية ليقترب بوصفه من السرد كثيراً إذ يوضح مسالة معروفة آنذاك في حياتهم وهي وصول الركبان وما يحدث في أثرها من مواقف متعددة ، ويقصد بأهل الركبان بوصفها شخصية جماعية أهل الخمر الذين يسيرون معها على تأمين ذلك . وليدلل على ذلك الشاعر الأمكنة (الاشاءة) الذي يقع باليمامة أو بالرقة ، ومن ثم ينتقل الشاعر لتقديم شخصية جماعية أخرى بالوصف الانتشاري (آل معتب) وهم حي من ثقيف عز عليهم بيع الخمور لعدم استطاعتهم الشراء في الأشهر الحرم إذ يعمل أهل الخمر على غلاء سعرها وانتهاز فرصة الشهر الحرام . ويقدم الشاعر وصفه الانتشاري للشخصيتين الجماعيتين بأفعال متعددة تتدفق مع السرد (توصل- تؤلف – يغيشها- برحت –تبينت- طاف – عز- رأوا- احكمتهم- يحل – أتوها- حاولته- تكف- فأصبحت- حلت- ساغ) لذا عمل الشاعر في وصفه على إبراز الشخصية بإعطاء أبعادها الاجتماعية والنفسية على السواء .

ويقول عبد مناف بن ربع :

ألا أبلـــــغ بني ظَفر رسولا ورَبُ الدهر يَحدُث كلّ حين
أحقا أنّكم لَمّـــــــــا قتلتم نَدامايَ الكرامَ هجوتمونـــــي
فإنَّ لدي التَّناضِب من عُوَير أبا عمرٍو يَخِرّ على الجبين
وإنّ بُعُقدة الأنصـــاب منكم غُلاما خَرّ فـــي عَلَق شَنين
ورَدناه بأســـــــــيافٍ حدادٍ خَرجن قُبيلَ من عند القُيون
تركناه يَخِرُّ علـــــى يديه يَمُجُّ عليهما عَلَقَ الوَتيـــن
فما أغنى صِياحُ الحيّ عنه ووَلوَلَةُ النساء مـــع الرَّنين
وإنّا قد قَتَلنا مـــــن عَلمتْ ولستْ بعدُ في قُفٍّ حَصين[٥٧]

يعمل الشاعر على تقديم الوصف الانتشاري للشخصية برده على المعترض بن حنواء الظفري اذ يقدم الشخصية الجماعية (بني ظفر) ببعدها الاجتماعي الذي عرفت به آنذاك لإثبات مسالة مهمة عرفت عندهم ألا وهي قتل القدماء الكرام ثم ينتقل الشاعر

إلى وصف شخصية قومه من خلال الموقف الذي اتخذوه إزاء موقف بني ظفر . لذا يفصل الشاعر في الأمرين من خلال الأفعال المتعددة التي يقترب فيها الوصف كثيراً من السرد ويندمج معه (ابلغ- يحدث- قتلتم- هجوتموني- يخر –خر- وردناه- تركناه- يخر- يمح-أغنى- قتلنا- علمتم) ولكي يحقق الشاعر وصفه الانتشاري يدلل عليه بأمكنة واقعية (عوير) و (عقدة الأنصاب) وبهذا يقدم الشخصيتين الجماعيتين بوصف انتشاري يسعى فيه إلى إبرازهما بصفات متعددة عرفت في المجتمع آنذاك . أما أبو قلابة فيقول :

إن الرّشاد وإن الغَيَّ فـــــي بكلّ ذلك يأتيك الجَديـــــــدان

قَرَنٍ

لا تأمَنّ وإن أصبحتَ في حَرَمٍ إنّ المَنايا بِجَنبي كُـــــلِّ إنسانِ

ولا تقولن لشـــــيءٍ سوفَ حتــى تَبيّن مايَمني لك الماني[٥٨]

أفعَلُه

يعرض الشاعر أبو قلابة الوصف الانتشاري للشخصية من خلال حدث محدد معروف في المجتمع آنذاك وهو القتال الذي أصبح بمثابة الشخصية بعينها من خلال ذكر السيوف بوصفها أداة القتال ، ومن ثم زمن القتال (الجديدان) ويقصد بهما الليل والنهار ، فضلاً عن المكان (الحرم) وبهذا يحدد الشاعر الفضاء القصصي للحدث ليعكسه على الوصف بأفعال متعددة يقترب فيها الوصف من السرد ليلتحم به التحاماً شديداً يصعب الفصل بينهما (لا يقارع- توقدن-لا تامنن- أصبحت- ولا تقولن- افعله- تبين- يمني) وتبرز في هذا الوصف النزعة الوعظية والتذكير بالموت الذي يأتي في كل حين حتى لو كان الشخص في الحرم حيث تأمن الطير ، وعدم قول باني سأفعل إلا إذا كان القضاء والقدر قد حكما بذلك .وبذلك يبرز البعد الفكري لشخصية الشاعر بوصفه راوياً للحدث السردي مما يضفي واقعية أكثر على الوصف الانتشاري الذي يقدم لموقف معروف آنذاك وهو (القتال) والحرب .

الخاتمة

يظهر الوصف ملامح الشخصية القصصية في شعر هذيل بأنواع متعددة تعتمد الثنائيات الضدية مما لها الأثر في إلقاء ظلالها على الأوصاف باعتماد التصنيف والتعبير اذ يسعى الوصف التعبيري للاستقصاء والتركيز على الملامح الكاملة للشخصية (الحبيبة – الابنة – القوم) أو الاقتصار على الوصف التعبيري بالإيحاء والتلميح وترك المجال للقارئ لتلمس الأوصاف الأخرى . ويعتمد الشاعر على الوصف البسيط والمركب إما بجملة قصيرة مهيمنة تركز على جانب من جوانب الشخصية وتتعرف عليها بربط

الحدث بالآخر في حين يعتمد الوصف المركب على الشخصية وانفعالها في الأمكنة لإبراز صفاتها العامة والخاصة ، وجاء الوصف (الموضوعي – الذاتي) لبيان السمات الشخصية إما بالشاعر عندما يكون راوياً للحدث السردي أو عن طريق الشخصية ذاتها بان تصف مشاعرها وتوجهاتها . ويأتي (السرد الوصفي – الوصف الانتشاري) بأفعال متعددة تعكس ملامح الشخصية ولا سيما في اقتراب السرد من الوصف وإعطاء الدالات والموصوفات أهمية اكبر .

هوامش البحث ومصادره ومراجعه

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : د . عبد المنعم خفاجي : ١٣٠ .

(٢) ينظر : بناء الرواية : ٧٩ .

(٣) ضحك كالبكاء ، إدريس الناقوري : ٢١٧ .

(٤) ينظر : في نظرية الرواية : ٢٥٨ .

(٥) ينظر : بناء الرواية : ٨٢ .

(٦) ينظر : قضايا السرد عند نجيب محفوظ : ١٤٩ .

(٧) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) شجاع مسلم العاني : ١٧ .

(٨) ينظر : الرواية العربية ، : ١٣٣ .

(٩) ينظر : النقد التطبيقي التحليلي : ٦٩ .

(١٠) ينظر : البناء الفني لرواية الحرب في العراق : ٨٧ .

(١١) الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية : ٢٨ .

(١٢) ينظر : بناء الرواية : ٨١ .

(١٣) ينظر : المتخيل السردي : ١٢ .

(١٤) ينظر : فضاء النص الروائي ، محمد عزام : ١٥ .

(١٥ البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) : ٢٣ .

(١٦) ينظر : بناء الرواية : ٨١ .

(١٧) ينظر : حدود السرد ، جيرار جنيت ، ترجمة : بنعيسى بو حمالة مجلة أفاق العربية ، العددان (٨-٩) لسنة ١٩٨٨ : ٩ .

(١٨) ينظر : بناء الرواية : ٨١ .

(١٩) ينظر : فضاء النص الروائي : ١١٥ .

(٢٠) ينظر : بناء الرواية : ٨١ .

(٢١) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) : ٢٣ .

(٢٢) ينظر : بناء الرواية : ٨١ .

(٢٣) ديوان الهذليين : ١ / ٩٢ – ٩٣ .

(٢٤) المصدر نفسه : ٢ / ٣٨ – ٤٢ .

(٢٥) المصدر نفسه : ٣ / ١٠٥ – ١٠٧ .

(٢٦) المصدر نفسه : ١ / ٣٤ .

(٢٧) المصدر نفسه : ٢ / ١٨ .

(٢٨) المصدر نفسه : ٣ /١٢٢ .

(٢٩) ينظر : وظيفة الوصف في الرواية ، عبد اللطيف محفوظ : ٣٣ .

(٣٠) ينظر : أبحاث في النص الروائي العربي ، سامي سويدان : ١٤٤ .

(٣١) ينظر : وظيفة الوصف في الرواية : ٣٣ .

(٣٢) ينظر : في نظرية الرواية : ٢٨٥–٢٨٦ .

(٣٣) ديوان الهذليين : ١ / ٤٤ .

(٣٤) المصدر نفسه : ٢ / ٦٧ .

(٣٥) المصدر نفسه : ٣ / ١١٢ .

(٣٦) المصدر نفسه : ١ / ٦٤ – ٦٨ .

(٣٧) ديوان الهذليين : ٢ / ٦٨ – ٧٠ .

(٣٨) المصدر نفسه : ٣ / ١٢٤ – ١٢٥ .

(٣٩) ينظر : مدخل إلى نظرية القصة : ٩٠ .

(٤٠) ينظر : المصدر نفسه : ٩١ .

(٤١) ديوان الهذليين : ١ / ٦٩ – ٧٠ .

(٤٢) المصدر نفسه : ٢ / ١٣ – ١٤ .

(٤٣) المصدر نفسه : ٣ / ٢١ – ٢٢ .

(٤٤) المصدر نفسه : ١ / ٣ .

(٤٥) المصدر نفسه : ٢ / ١٧ .

(٤٦) المصدر نفسه : ٣ / ٢٠ .

(٤٧) وظيفة الوصف في الرواية : ٣٠ .

(٤٨) ينظر : الألسنية والنقد الأدبي : ١٣٣ .

(٤٩) ينظر : أبحاث النقد الروائي العربي : ١٥٧ .

(٥٠) ينظر : وظيفة الوصف في الرواية : ٣٢ .

(٥١) ينظر : المصدر نفسه : ٣٦ .

(٥٢) ينظر : السرد والوصف ، جيرار جنيت ، ترجمة : د. مهند يونس ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد (٢) لسنة ١٩٩٢ : ٢٤ .

(٥٣) ديوان الهذليين : ١ / ١٦٧ – ١٧١ .

(٥٤) المصدر نفسه : ٢ / ٤٩ – ٥٠ .

(٥٥) المصدر نفسه: ٣ / ١٠٥ –١٠٧ .

(٥٦) المصدر نفسه : ١ / ٧٣ – ٧٤ .

(٥٧) المصدر نفسه: ٢ / ٤٨ .

(٥٨) المصدر نفسه : ٣ / : ٣٩ .

المصادر والمراجع

المصادر

- ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الجمهورية العربية المتحدة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

المراجع

- أبحاث النص الروائي العربي ، د. سامي سويدان ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- بناء الرواية : دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، د. سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق (بناء السرد) ، د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٤ .
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- الرواية العربية وقضية الريف ، باقر جواد الزجاجي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- ضحك كالبكاء ، إدريس الناقوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦
- فضاء النص الروائي ، محمد عزام ، مطبعة اليمامة ، ط١ ، حمص ، ١٩٩٦ .
- في نظرية الرواية ، د. عبد الملك مرتاض ، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠) ، ط١ ، الكويت ، ١٩٩٨ .
- قضايا السرد عند نجيب محفوظ ، وليد نجار ، مكتبة المدرسة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٥
- المتخيل السردي ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- مدخل إلى نظرية القصة ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- النقد التحليلي التطبيقي ، د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانكي ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- وظيفة الوصف في الرواية ، عبد اللطيف محفوظ ، دار اليسر ، المغرب ، ١٩٨٩ .

البحوث المنشورة في الدوريات والكتب الجامعية

- حدود السرد ، جيرار جينيت ، ترجمة : بنعيسى يوحالة ، مجلة أفاق العربية ، العددان (٨ و٩) لسنة ١٩٨٨ .
- السرد والوصف ، جيرار جينيت ، ترجمة : د. مهند يونس ، مجلة الثقافة الأجنبية ، بغداد ، العدد (٢) لسنة ١٩٩٢ .